مجلة البحوث والدراسات الافريقية المجلد ٨ العدد ٢ أكتوبر ٢٠٢٤
ودول حوض النيل Website: https://mbddn.journals.ekb.eg/
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني ٤٤٥٠ ـ٢٦٨٢ E-mail: afr.journal@aswu.edu.eg
© تصدر عن معهد البحوث والدراسات الافريقية ودول حوض النيل – جامعة اسوان – جمهورية مصر العربية

كرمة بين رؤى رايزنر وانتقادات معارضيه

"تحليل للتفاعلات الثقافية بين مصر والنوبة"

عمرو حسين محمد علي [١] زكريا رجب محمود عبد المجيد [٢] أحمد عبد المنعم فرمان [٣]

[١] قسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ودول حوض النيل، جامعة أسوان
[٢] أستاذ التاريخ القديم ووكيل كلية الدراسات الأفريقية العليا جامعة القاهرة
[٣] أستاذ الآثار المصرية القديمة المساعد ووكيل كلية الآثار جامعة أسوان

الملخص:

تُعتبر حضارة كرمة واحدة من أبرز الحضارات النوبية التي ازدهرت في المنطقة الواقعة جنوب مصر في الألفية الثانية ق.م. وقد كانت موضوعًا للعديد من الدراسات الأثرية والنقاشات الأكاديمية، ومن بين أبرز الباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع عالم الآثار الأمريكي جورج أندرو رايزنر George A. Reisner ، تعد آراء رايزنر حول كرمة محورًا للنقاش في الأوساط العلمية، حيث يتناول هذا المقال تحليلاً لأفكاره ومقارنتها بآراء معارضيه، كان رايزنر رائدًا في دراسة آثار النوبة وقدم إسهامات كبيرة في فهم حضارة كرمة، اعتمدت نظرياته بشكل كبير على الاكتشافات الأثرية والتنقيب المكثف الذي قام به في المنطقة، وتتمثل أبرز آراء رايزنر حول كرمة في عدة نقاط لعل أبرزها: أصل كرمة وتطورها، و التأثيرات المصرية، وفي هذه النقاط يمكن القول بأن رايزنر يرى كرمة من منظور تأثري، ولكن معارضيه يرونها من منظور استقلالي.

من المعروف أن الفضل في الكشف عن مدافن الفترات الأولى من تاريخ السودان القديم عن الفترة من ٣٨٠٠ ق.م – ١٥٠٠ ق.م إلى جورج رايزنر الذي استطاع أن يصيغ التسلسل التاريخي للثقافات والحضارات السودانية، هذا التسلسل لا يزال مقبولاً إلى حد كبير حتى الآن، وكان رايزنر يعول على مبدأ الانتشار الثقافي، حيث يرى أن التغير الثقافي يكون عن طريق الانتشار أو الهجرة أو الغزو، وعلى هذا

المبدأ، وباعتماده على المدافن وتحليلها فسر رايزنر الثقافات السودانية على أنها نتاج انتشار الحضارة المصرية.

الكلمات المفتاحية :- كرمة – الدفوفة – آراء – السودان – النوبة.

Kerma between Reisner's visions and the criticisms of his opponents "An analysis of cultural interactions between Egypt and Nubia"

Abstract:

The Kerma is considered one of the most prominent Nubian civilizations in the region located south of Egypt in the second millennium BC. It has been the subject of many academic discussions, and among the most prominent researchers who have addressed this topic is George Andrew Reisner. His views are the focus of discussion in academic fields, as this article deals with an analysis of his ideas and comparing them with the views of his opponents. He was a pioneer in the Nubian studies and made significant contributions to understanding the Kerma civilization. His theories relied on the archaeological discoveries and intensive excavations that he carried out. Reisner's most prominent views are represented in several points, perhaps the most prominent of which are: the origin and development of Kerma, and the Egyptian influences. In these points, it can be said that Reisner sees Kerma from an influencer perspective, but others see it from an independent perspective.

It is known that the discovery of the burials of the early periods of the history of ancient Sudan from 3800 BC - 1500 BC goes to him, who was able to formulate the historical sequence of Sudanese civilizations. This sequence is still accepted to this day. Reisner relied on the principle of cultural diffusion, as he believed that cultural change occurs through diffusion, migration, or invasion. Based on this principle, He interpreted Sudanese cultures as having been formed as a rsult of the spread of Egyptian civilization.

Keywords: Kerma - Defufa - Opinions - Sudan - Nubia.

مقدمة:

لطالما كانت حضارة كرمة موضوعًا جدليًا بين العلماء والباحثين في مجال الآثار والدراسات التاريخية. تأتي أهمية هذا النقاش من الموقع الجغرافي والتاريخي المتميز لكرمة، التي تعد إحدى أقدم الحضارات في النوبة، والتي ازدهرت في الفترة ما بين ٢٥٠٠ ق.م و١٥٠٠ ق.م. يعد جورج أندرو رايزنر، عالم الآثار الأمريكي الرائد، من أبرز الباحثين الذين درسوا كرمة، حيث قدم آراءه حول العلاقات بين مصر وكرمة وتأثيرات كل منهما على الأخرى. ومع ذلك، فإن رؤى رايزنر لم تسلم من الانتقادات، حيث شكك العديد من الباحثين المعاصرين في تفسيراته واستنتاجاته.

أهداف الدراسة:

يهدف هذا المقال إلى عرض وتحليل رؤى رايزنر حول حضارة كرمة، مع التركيز على تفاعلاتها الثقافية مع مصر، وسنقوم أيضا بعرض بعض الانتقادات التي وجهت لأفكاره من قبل معارضيه، وما يستندون عليه في معارضتهم من الأدلة الأثرية والنصية التي تدعم وجهات النظر المختلفة، من خلال هذا التحليل، نسعى إلى تقديم صورة شاملة للتفاعلات الثقافية بين مصر والنوبة، والكشف عن الأبعاد المعقدة للعلاقات بين هاتين الحضارتين العظيمتين.

أهمية الدراسة:

تساهم الدراسة في توسيع فهمنا لحضارة كرمة، إحدى الحضارات المهمة في تاريخ النوبة، من خلال عرض الآراء المختلفة بين العلماء والدارسين.

مشكلة الدراسة: تتجلى مشكلة الدراسة في الأسئلة التالية:

١. ما مدى دقة تفسيرات رايزنر لحضارة كرمة وعلاقتها مع مصر؟

٢. كيف يمكن للأدلة الأثرية أن تقدم آراء جديدة أو بديلة عن تلك التي قدمها رايزنر؟

٣. ما هي طبيعة التأثيرات الثقافية بين مصر وكرمة، وكيف أثرت هذه التفاعلات على كلتا الحضارتين؟

منهجية الدراسة:-

سوف تتبع هذه الدراسة منهج البحث التاريخي بكافة أساليبه ووسائله من وصف وتحليل ومقارنة ونقد واستنتاج. وفقا لما تقتضيه الدراسة.

تقسيم الدراسة:-

أولاً: نبذة عن رايزنر علمياً

ثانياً: آراء رايزنر وآراء معارضيه

١* رأي رايزنر في تبعية حضارة كرمة للحضارة المصرية وآراء معارضيه

٢* رأي رايزنر في الوضع التاريخي لمقابر كرمة وآراء معارضيه

٣* رأي رايزنر في التسلسل الزمني لمقابر كرمة وآراء معارضيه

٤* رأي رايزنر في الغرض من بناء الدفوفة الغربية وآراء معارضيه

٥* رأي رايزنر في الدفنات التي أطلق عليها الجبانة المصرية وآراء معارضيه

ثالثاً: دورهام كنموذج للآراء المعارضة لرايزنر

رابعاً: الخاتمة

أولاً: نبذة عن رايزنر علمياً

رايزنر هو عالم مصريات أمريكي، ولد لعائلة ألمانية أمريكية، عمل بالتدريس بجامعة هارفارد، ولكنه فضل العمل الميداني أكثر من التدريس، ومن هنا شق طريقه [1]، وكان رايزنر شخصية بارزة في مجال علم

([1])Der Manuelian, P., "Reisner, George Andrew" **in** *Encyclopedia of the archaeology of ancient Egypt*. Routledge, 2005, p. 805.

الآثار النوبي، وكان رائدًا في تطوير مجال جديد تمامًا من الدراسات في النوبة القديمة[٢]، ومزج بين المنهجين العملي والنظري للوصول إلى نتائجه، ولم تختلف نظرته وطريقة عمله ومنهجه واسلوبه وتفسيراته في كرمة عن مثيلاتها في النوبة السفلى، فحينما عمل في كرمة مديراً لبعثة هارفارد بوسطن في الفترة (١٩١٣م – ١٩١٦م)، كان اعتماده على المدافن كوسيلة لتفسير الثقافة المحلية، كما لم تتغير نظرته عن أصل هذه الثقافة، وكان من الذين أرسوا دعائم أسلوب العمل الميداني المنظم والتسجيل والرسم ومسح المواقع، وأصبحت هذه الدعائم أساساً للعمل في النوبة فيما بعد[٣]، فمن الإنجازات العظيمة التي حققها رايزنر في علم الآثار هو فتح فصل جديد تمامًا في التاريخ الأفريقي القديم، فبعد أن أدار المسح الأثري للنوبة (١٩٠٧–١٩٠٩)، الذي كان يهدف إلى تسجيل المواقع قبل بناء السد العالي في أسوان، استكشف ثقافات النوبة (السودان الحديث) جنوب مصر على نطاق أوسع، وقد فتح عمله في مواقع على طول أعالي النيل مثل جبل البركل وكرمة والكورو ونوري ومروي مجالًا جديدًا للدراسات النوبية[٤].

ثانياً: آراء رايزنر وآراء معارضيه

هذه الأسباب جعلت من الصعب تحدي استنتاجاته، إذا تم تفنيد استنتاجاته، فقد يؤثر ذلك على مكانته وسمعته في المجتمع الأكاديمي، وعلى الرغم من ذلك، فإن التباين في الآراء الأكاديمية أمر طبيعي، حيث يجب أن يكون هناك مجال للإختلاف والنقاش في مجال البحث العلمي، حتى أشهر وأكبر الباحثين يمكن أن يختلفوا فيما بينهم في وجهات نظرهم وتفسيراتهم بناءً على الأدلة المتاحة وتحليلاتها[٥]، لذا سرعان ما تم تحدي العديد من افتراضات رايزنر المبكرة من خلال العمل في النوبة السفلى وأكدت الدراسات اللاحقة بشكل متزايد على أهمية كرمة كمملكة مستقلة ومتطورة للغاية في حد ذاتها[٦].

)[2](Bard, Kathryn A. *An introduction to the archaeology of ancient Egypt*. John Wiley & Sons, 2015, p. 12.

(٣) أزهري مصطفى صادق وجمال جعفر عباس، "دور نظريات ومناهج آثاريه في تفسير المدافن في السودان القديم "، أدوماتو، العدد الثالث عشر، يناير ٢٠٠٦، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، المملكة العربية السعودية، ص ١٤.

([4])Der Manuelian, P., Op. Cit., p. 806.

)[5](Ross, Larry. "Nubia and Egypt 10000 BC to 400 AD." (2013)., p.115.

)[6](Edwards, D. N., *The Nubian past: an archaeology of the Sudan*, London & New York, Routledge, 2004, p. 77.

لذلك وجدنا العديد من الآراء المنسوبة لرايزنر تمت مناقشتها ومعارضتها علمياً، من بين هذه الآراء ما يتعلق بكرمة:

١* رأي رايزنر في تبعية حضارة كرمة للحضارة المصرية وآراء معارضيه

رأى رايزنر أن حضارة كرمة كانت في الأساس تابعة لمصر القديمة، حيث اعتقد أنها لم تكن أكثر من مستعمرة مصرية في النوبة، واستند في هذا الرأي إلى التشابه الكبير بين الفنون المعمارية والفخار والمواد الأثرية الأخرى المكتشفة في كرمة ونظيراتها المصرية، ولكن عارض العديد من الباحثين تلك الفكرة، مؤكدين على استقلالية كرمة كحضارة ذات ثقافة فريدة ومتميزة، استدلوا على ذلك من خلال الأنماط الفنية والمعمارية التي تختلف بشكل ملحوظ عن نظيراتها المصرية.

وفي عام ١٩١٣، بدأ جورج رايزنر أعمال التنقيب في كرمة، عند منبع الجندل الثالث، وقد لفت انتباهه هناك اثنان من المباني الضخمة المبنية من الطوب اللبن، وعلى مسافة ليست بعيدة عن النيل، كان الجزء الموجود على الجانب الغربي عبارة عن كتلة مدمجة من الطوب اللبن، وكان الآخر الذي يقع على الجانب الشرقي على حافة الصحراء عبارة عن مبنى ضخم من الطوب اللبن، وسط مقبرة كبيرة من تلال الدفن المكونة من حلقات من الحصى الأبيض حول دوائر كبيرة من الحجارة السوداء، أسفرت أعمال التنقيب التي قام بها رايزنر في كرمة، وخاصة في الجبانة، عن مجموعة غنية من المواد، وعلى رأسها الفخار ذو التصميم الأصلي.

وفي المدافن الأكبر حجمًا لوحظ أن الدفن تم على الطريقة النوبية تمامًا، حيث كان الجسد غير محنط وممدد على سرير، يصاحبه النساء والأطفال والخدم في نفس القبر، وقد اكتشف رايزنر أيضًا قطعًا أثرية مصرية مثل التماثيل وأجزاء من النقوش الهيروغليفية، مما دفعه إلى الإعتقاد بأن المصريين أقاموا نوعًا من المواقع التجارية، ورأى أن القطع الأثرية التي تم جمعها من الدفوفة الغربية تشير إلى وجود مركز للتجارة وليس للإدارة [٧]، لذا فسر رايزنر الموقع على أنه محطة تجارية مصرية تحت هيمنة الدولة الوسطى، وربط

([7])Leclant, J., "Kushites" **in** *Encyclopedia of the archaeology of ancient Egypt*. Routledge, 2005, p. 510.

ذلك بحصون الدولة الوسطى المنتشرة في النوبة السفلى[٨]، الهدف منها ضمان حصول ملوك الدولة الوسطى على منتجات افريقيا جنوب كرمة.[٩]

ويمكن القول بأنه لو كانت كرمة بالفعل موقعًا استيطانيًا مصريًا، لما كانت معزولة بعيدًا جنوب الجندل الثاني مع عدم وجود محطات ترحيل مهمة، ومن ثم، فإن تفسير رايزنر للموقع كان غير دقيق، ثم بدأت فكرة وجود علاقة وثيقة بين اسم كوش وموقع كرمة تبدو قابلة للتطبيق بالنسبة لعلماء المصريات، وقد تجلت هذه الفرضية في عام ١٩٧٧ عندما اكتشف عالم الآثار السويسري تشارلز بونيه آثار مدينة شاسعة بها مباني طينية مماثلة لتلك التي لا تزال موجودة في المنطقة الصحراوية بغرب أفريقيا [١٠].

ويمكننا القول بأن نتائج وتفسيرات رايزنر قد تأثرت بحقيقة كونه عالم مصريات، جاء في الأساس بحثاً عن الآثار المصرية في السودان [١١]، ولإعطاء المصداقية لعلماء المصريات المعاصرين، تم إنتقاد إستنتاجات رايزنر، وتم التأكيد على الطابع النوبي الأصلي البحت لثقافة كرمة [١٢].

٢* رأي رايزنر في الوضع التاريخي لمقابر كرمة وآراء معارضيه

لقد أربك التسلسل الزمني لهذه المدافن العلماء منذ أعمال التنقيب التي قام بها رايزنر هناك، فكان لدى رايزنر نفسه تحفظات بشأن الوضع التاريخي الذي افترضه للثقافة، واعترف بأنه كان في حيرة من أمره لتأريخ الموقع بواسطة الخزف بالطريقة التقليدية، وبدون استخدام الفخار كأداة للتأريخ، ضل رايزنر بسبب التماثيل المصرية المستوردة والآثار المنقوشة، وقد تفاقمت هذه المشكلة بسبب التحليل التشريحي المعيب الذي قدمه دي ديري، الذي افترض وجود اختلاف عنصري بين السكان المدفونين في الجبانة الجنوبية (التي أطلق عليها رايزنر"المصرية") وتلك الموجودة في الشمال، وبناءً على هذه القرائن الغير صحيحة، افترض رايزنر أنه

([8]) D’Itria, Elena, and Gilda Ferrandino. "A digital Archive for the Amulets of Kerma Culture: A Preliminary Study". *Newsletter di* Archeologia CISA, Volume 10, 2019, p. 57.

([٩]) أزهري مصطفى صادق وجمال جعفر عباس، مرجع سابق، ص ١٤.

([10])Leclant, J., Op. Cit., p. 510.

([١١]) سعاد عثمان بابكر عثمان، ثقافة الموت مابين مدينة كرمة القديمة والمعاصرة، مجلة الدراسات الانسانية، كلية الأداب والدراسات الانسانية، جامعة دنقلا، السودان، عدد ٥، يناير ٢٠١١، ص ٧٢.

(12)Smith, Stuart Tyson. Askut and the changing nature of Egyptian imperialism in the second millennium BC. University of California, Los Angeles, 1993, p. 115.

تم إنشاء حامية في كرمة بواسطة أمنمحات الأول أو الثاني (الأسرة الثانية عشرة) [١٣]، لتكون بمثابة مركز تجاري ولحماية سلسلة الحصون في الشمال على طول الجندل الثاني؛ وترسخت هذه الفكرة بعثوره على مقبرة حبزفا وزوجته، حيث كان حبزفا حاكماً لأسيوط ثم أصبح حاكمًا للمستعمرة، و"أصبح مواطنًا" ودُفن في كرمة على الطراز النوبي[١٤]، حيث كان يعتقد رايزنر أن كرمة كانت العاصمة الإقليمية لحاكم مصري في أقصى الجنوب، وسيطرت عدة أجيال من هؤلاء الحكام على المنطقة خلال عصر الدولة الوسطى، وماتوا هناك ودُفنوا حيث ماتوا [١٥].

وبخصوص تمثالي حبزفا وزوجته يعتقد بعض علماء الآثار أن أحد ملوك كرمة هو الذي أتى بهما إلى النوبة، مما جعل رايزنر يتخيل خطأً أن كرمة كانت مجرد بؤرة استيطانية مصرية في النوبة[١٦]، وأن حبزفا هو الحاكم المصري على النوبة من قبل الملك أمنمحات الأول [١٧].

٣* رأي رايزنر في التسلسل الزمني لمقابر كرمة وآراء معارضيه

وفقًا لنتائج الحفريات التي قام بها رايزنر في المنطقة، والتي نُشرت في المجلدين الخامس والسادس من دراسات هارفارد الأفريقية في عام ١٩٢٣، تم تقسيم الموقع إلى عدة أقسام، منها الجزء الجنوبي الذي وُصف بأنه "الجبانة المصرية"، وذلك بناءً على وجود أكبر تجمع للقطع الأثرية فيه، وقد تم العثور في هذا القسم على عدة أدوات وأشياء مصرية الصنع، وكذلك تم تحديد هويات الأفراد المدفونين هناك باعتبارهم مصريين [١٨].

([13])Reisner, George A. "Outline of the Ancient History of the Sudan; The Egyptian Occupation of Ethiopia During the Middle Empire (2000 To 1600 B.C), part II " *Sudan Notes and Records* 1.2 (1918): p. ٦3.

([14])Lacovara, P., "Kerma" **in** *Encyclopedia of the archaeology of ancient Egypt*. Routledge, 2005, p. 486.

([15])Barbara Mertz, and Lorna Raver, Temples, Tombs and Hieroglyphs: A Popular History of Ancient Egypt, 2nd ed., Harper Collins, 2007, p. 113.

([16])Lobban, R. A., *Historical Dictionary of Ancient and Medieval Nubia*, USA, Scarecrow Press,2004, p.١٨١.

)[17](Reisner, George A., Op. Cit., p. 66.

)[18](Ross, Larry., Op. Cit., p. 113.

وضع رايزنر المخطط التطوري، وبمراجعة هذا المخطط تم عكس التسلسل الذي اقترحه، بدءًا من المدافن الكبيرة، KIII وانتهاءً بالمجموعة KXVI-KXX، حيث كانت KIII هي آخر المدافن الترابية العظيمة وليست أولها، ومن المؤكد أن هذه مقابر ملوك كرمة، والتي يرجع تاريخها إلى نهاية الفترة الإنتقالية الثانية في مصر[١٩]، فوجهة النظر الحالية للتسلسل الزمني لمقابر التلال الكبيرة على عكس وجهة نظر رايزنر الذي افترض أنها تعود إلى عصر الدولة الوسطى، فإنها تعود إلى وقت متأخر إلى حد ما في الفترة الانتقالية الثانية وهي معاصرة لحكم الهكسوس في مصر[٢٠]، وكذلك فإن المقابر M وN موجودة وتنسب لوقت سابق، وليس لوقت لاحق، ويعود تاريخها إلى الفترة الإنتقالية الأولى، واكتشف بونيه أيضًا مرحلة ما قبل كرمة والتي قد تعود إلى عصر الدولة القديمة وتكون مرتبطة بالمجموعة النوبية الأولى [٢١]، وهذا يؤدي إلى تقييم الوجود المصري في كرمة حيث افترض رايزنر وجود عدد كبير من المصريين كإداريين، من الجنود والحرفيين فيما زعم أنه احتلال استعماري مصري [٢٢].

٤* رأي رايزنر في الغرض من بناء الدفوفة الغربية وآراء معارضيه

كانت هناك الكثير من التكهنات حول تاريخ الموقع والغرض من بناء الدفوفة الغربية، وهذا العدد الكبير من القطع المصرية والمتمصرة التي تم العثور عليها في الموقع دفع رايزنر إلى الإشارة إلى وجود احتلال مصري وأن هذا المجمع كان هو القصر المحصن للحاكم [٢٣]، فمنذ تولي رايزنر التنقيب وتنظيف المباني، اكتشف مواد أثرية غنية ومتنوعة، دفعته إلى إفتراض أن هذه الآثار كانت من تصميم المعماريين المصريين وأن العمل قد أكمله المصريون، وخلص إلى أن الدفوفة الغربية كانت تمثل مركزًا لوكالة مصرية تحميها حامية، وكان حاكمها مصرياً يقيم في ما يشبه القلعة المبنية وسط أكواخ السكان الأصليين للقرية، وافترض

(19)Lacovara, P., Op. Cit., p. 486.
(20)Shinnie, Peter Lewis. *Ancient Nubia*. Kegan Paul International, 1996, 70.
(21)Lacovara, P., Op. Cit., p. 486.
(22)Shinnie, Peter Lewis., Op. Cit., 70.
(23)Ibid, 67.

أن المسكن المحصن كان من الممكن أن يسكنه ١٠٠ حارس بشكل منتظم وأنه في حالة الصراع، كان من الممكن أن يلجأ ٦٠٠ جندي إلى داخل الهيكل المبني من الطوب[٢٤].

ولكن قام المتخصصون بتعديل هذا التفسير، واتفقوا على أن كرمة كانت مقرًا لملوك كوش وأن سكانها كانوا من السكان الأصليين وليسوا من المصريين، كما تمت أيضًا مناقشة الهدف من بناء الدفوفة الغربية، فوافق كل من آركل Arkell وكمب Kemp رأي رايزنر على أنها كانت المقر المحصن للحاكم، ورفض آدمز Adams ذلك الرأي لأنها ذات مدخل واحد لذا يسهل حصارها، كما أنها لم تكن على النيل مباشرة كباقي الحصون إنما تبعد ٢ كم عنه، أما يونكر Junker فيرى أنها كانت مركزاً تجارياً [٢٥]، لكن حتى وقت قريب لم يكن الطابع العسكري للمبنى موضع شك أبدًا، وافترض ويليام آدامز إضافة مرحلتين إلى المبنى من أجل إنشاء برج مراقبة، والذي كان يستخدمه أمراء كوش لمراقبة حركة المرور على نهر النيل[٢٦].

ولما اكتشف عالم الآثار السويسري تشارلز بونيه Bonnet آثار مدينة كرمة الشاسعة، التي بها مبانٍ طينية مماثلة لتلك التي لا تزال موجودة في المنطقة الصحراوية بغرب أفريقيا، رأى أنها لم تكن سوى مركزاً دينياً لأهل المدينة، واعتقد أن الغرفة الصغيرة والممر المؤدي لها تمثل قدس الأقداس في المعابد المصرية، وباقي الغرف كانت تقام فيها الاحتفالات الدينية، وفسر سمك الجدران الزائد على أنه لحماية المعبد والمعبودات من الأخطار[٢٧]، وتم تنظيم الموقع كعاصمة، على الأرجح عاصمة كوش، ثاني أقدم دولة أفريقية (بعد مصر) ومنافس جدير بجارتها العظيمة[٢٨]، وعلى الرغم من أن شعوب كرمة كانوا معاصرين للمصريين في الدولتين القديمة والوسطى، إلا أن بونيه قام بالتنقيب عن ثقافة مختلفة تمامًا عن ثقافة مصر القديمة[٢٩].

([24])Bonnet, Charles. "La deffula occidentale et Iesecteur religieux de Kerma." *in Kerma: Territoire et Metropole Quatre Le90NS au College de France (Cairo: Institut Francais d'Archeologie Orientale du Caire, 1986), p. 14*.

(٢٥) كريم عبدالله حافظ، "المعتقدات الدينية في النوبة خلال الفترة (٢٥٠٠- ٨٥٠ ق. م)"، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، ع ١٣، مج١، يناير ٢٠١٧، ص ص ٤٨٠-٤٨١.

([26])Bonnet, Charles Op. Cit., p. 14.

(٢٧) كريم عبدالله حافظ، مرجع سابق، ص ص ٤٨٠-٤٨١.

([28])Leclant, J., Op. Cit., p. 510.

)[29](Bard, Kathryn A., Op. Cit., pp.14-15.

٥* رأي رايزنر في الدفنات التي أطلق عليها الجبانة المصرية وآراء معارضيه

ومن الممكن تفسير جزء من الإرتباك الذي يحدث بشأن العلاقة بين النوبة ومصر من خلال إستنتاجات رايزنر، الذي قام بعمليات تنقيب في كرمة، حيث افترض أن المصريين "أصبحوا مواطنين" في تلك المنطقة، وذلك بعد أن تولوا مسؤولية الحكم في النوبة، واستمرت هذه الفرضية لفترة طويلة، ومما أسهم في ذلك كما قلنا اكتشاف كميات كبيرة من المواد "المصرية" في كرمة، ورغم وجود هذه المواد في المنطقة، والتي جمعها رايزنر تحت تصنيف "مصري" وقام بتسمية الجبانة على هذا الأساس بالجبانة المصرية (٣٠).

وعند إعادة النظر في تفسير رايزنر، تم اختبار ثلاث فرضيات تتعلق بالبقايا الهيكلية للأشخاص في سياقات جنازاتهم؛ أولاً: إذا كان رايزنر على حق، فلا يجب أن يكون هناك اختلاف في إصابات الهيكل العظمي بسبب العنف قبل الوفاة بين الأشخاص المدفونين في الممرات، والأشخاص الذين دفنوا في أماكن أخرى، فيما يعرف بالدفن الفرعي، ثانياً: إذا كان الأشخاص المدفونون في الممرات أسرى حرب، فمن المرجح أن يتعرضوا للإيذاء الجسدي قبل موتهم ثم يتم دفنهم أو ذبحهم قسراً بعد ذلك، ثالثاً: لا ينبغي أن يكون هناك اختلاف وراثي كبير بين الأفراد المدفونين في الممرات وأولئك المدفونين في المدافن الفرعية، وعدم وجود هذا الإختلاف يرجح أن كلا المجموعتين كانوا من نفس سكان كرمة المحليين، ولأنهم دفنوا بطريقة وأسلوب كرمة، مما يشير إلى أنهم كانوا كرميين وليسوا أسرى (٣١).

كما تم العثور أيضًا على مجموعة من المقابر الصغيرة المنتشرة في الجزء الشمالي من الموقع، تحديدًا إلى الشمال من المقابر الكبيرة من الجبانة (التي وصفها رايزنر بالمصرية)، تحمل السمات المميزة لهذه المجموعة الأثرية الجنوبية، وهذه المقابر الصغيرة تمثل جزءًا من تلك الجبانة وتحمل العناصر الأثرية المميزة، وتحديدًا خلف المقابر KXIII-XVI، تتداخل هذه الجبانة مع جبانة أخرى تحتوي على عدد من القبور، تمثل هذه القبور بعض العناصر المميزة للمجموعات المصرية، كما تحتوي هذه القبور على الفخار بأشكال وتصاميم جديدة (٣٢).

)30(Ross, Larry., Op. Cit., p. 112.

(31)Judd, Margaret, and Joel Irish. "Dying to serve: the mass burials at Kerma." *Antiquity* 83.321 (2009): 710.

)32(Ross, Larry., Op. Cit., p. 113.

في السياق نفسه، قام رايزنر بتقديم ما يمكن تسميته بـ "مخطط التسمية"، والذي يشكل نقطة فاصلة في هذه المنطقة الثقافية المعقدة والمتناقضة، في هذا المخطط، قام رايزنر بوقف الفترات المختلفة من خلال استخدام فواصل قاطعة، وهو تصميم يهدف إلى توضيح الإختلافات والتباينات المتضمنة في هذه المنطقة، واحتوى المخطط على تمثيل للنقوش المصرية التي تصور نوبيين مقيدين كأسرى، وهذا يؤثر سلباً على فهم العلاقة بين النوبة ومصر، تُقوّي هذه النقوش الإفتراضات المتعلقة بالإختلافات بين الثقافتين، ولا يختلف عن ذلك، أن المصريين، كأطراف منتصرة دائمًا في الصراعات، ساهموا في تشويه الصورة من وجهة نظرهم الخاصة، واستمر هذا التصوير المشوه على مر العقود، ما يعكس مدى تأثير الرمزية الفرعونية على الوعي الجماعي للمنطقة(٣٣).

ثالثاً: دورهام كنموذج للآراء المعارضة لرايزنر:

قام دورهام Durham بتقديم تحليل نقدي لاستنتاجات رايزنر بشأن كرمة، مما أثار الشكوك حول بعض الافتراضات التي تحتاج إلى مزيد من البحث لتأكيدها، واستشهد دورهام بمجموعة من النقاط لتوضيح مدى تعقيد الوضع:

في البداية، أشار دورهام إلى وجود تاريخ طويل للعلاقات بين مصر والجنوب، حيث كانت مصر تعتمد على الجنوب للحصول على الموارد مثل الذهب والعبيد والماشية والعاج وغيرها، هذه العلاقات تجعل من المفترض أن هناك ارتباطًا واضحًا بين البلدين، وأكد دورهام أن كرمة كانت موقعًا محوريًا للتجارة بين مصر والجنوب، وهو ما يشير إلى دورها الاقتصادي والاجتماعي المهم.

بالنسبة للهياكل الكبيرة التي عثر عليها رايزنر في كرمة وكذلك ما عثر عليه فى مواقع المجموعة (أ)، أرجعها إلى المصريين بافتراض أن الثقافة السوداء المحلية لا يمكن أن تكون مسئولة عن نطاق وعظمة المباني الكبيرة من الطوب اللبن والمقابر في الدفوفة، واقترح أن تكون المباني في الواقع من المراكز التجارية والحصون التي بنيت على الطريقة المصرية، والتي كانت مقراً للحكام المصريين الذين دفنوا في تلك

)[33](Ross, Larry., Op. Cit., pp.113-114.

المقابر[٣٤]، وهذه المباني وتلك القطع الأثرية المصرية الوفيرة اعتبرها رايزنر كدليل على وجود مركز تجاري مصري في الموقع، وتم تخصيص المدافن الضخمة والغنية للحكام المصريين [٣٥]، وأشار دورهام إلى أن هذه الهياكل يمكن تفسيرها بأكثر من طريقة بخلاف ما يراه رايزنر، وقد يكون لها دور تجاري أو إداري أكثر من دورها العسكري.

وفيما يتعلق بالتماثيل المصرية المكتشفة في الموقع، أشار دورهام إلى أن وجود هذه التماثيل لا يعني بالضرورة أن كرمة كانت تحكمها مصر، بل قد يكون ذلك نتيجة للتبادلات التجارية والثقافية بين البلدين.

وأخيراً أشار دورهام إلى أن الاستنتاجات التي وصل إليها رايزنر قد تكون غير محتملة بناءً على الأدلة المتاحة، وأن دراسته الأخيرة للسجلات والمقابر في كرمة تؤكد على أن وجهة نظر رايزنر قد تحمل نقاط ضعف.

إذاً، يمكن القول أن دورهام قد عرض وجهة نظر معارضة حول الافتراضات التي قدمها رايزنر وأظهر مدى تعقيد وضبابية الصورة التاريخية والثقافية لكرمة وعلاقتها بمصر[٣٦].

ولم يسلم دورهام من المعارضة والنقد، حيث تعرض لهذا النقد ويمكن أن يكون هذا بسبب تفضيل البعض للاعتماد على الاستنتاجات السابقة لرايزنر كونها تعتبر مرجعًا مهمًا في الحقل العلمي والأثري، وقد ينطوي الأمر أيضًا على مزيج من الانتماءات الأكاديمية والتفضيلات الشخصية.

إذاً، يمكن القول أن الجدل الأكاديمي حول استنتاجات رايزنر يظهر تعقيدات عملية البحث وتحليل الأدلة، والتي يمكن أن تكون مؤثرة على مسارات الباحثين.

---

(٣٤) رجب عبد اللطيف محمد، "الدور المصري في تغيير الثقافة الاجتماعية لسكان المجموعة (أ) ببلاد النوبة خلال الفترة من (٣٧٠٠-٢٨٠٠ ق.م. تقريبا"،مجلة كلية الأداب، جامعة بور سعيد، العدد ١٧، يناير ٢٠٢١، ص ٢٩٧.

)35(Edwards, D. N., Op. Cit., pp. 76-77.

)36(Ross, Larry., Op. Cit., pp.114-115.

الخاتمة:

تشكل حضارة كرمة، بأسرارها وتعقيداتها، محوراً لفهم التاريخ الثقافي والسياسي للنوبة القديمة وعلاقتها بمصر، من خلال هذه الدراسة، سعينا إلى إعادة تقييم رؤى جورج أندرو رايزنر وتحليل التأثيرات الثقافية بين مصر وكرمة، معتمدين على الأدلة الأثرية والتاريخية الحديثة.

أظهرت النتائج أن تفسيرات رايزنر، رغم أهميتها التاريخية، قد تكون محدودة أو متأثرة بظروف الاكتشافات الأولية وطرق التأويل المتبعة آنذاك، فقد أظهرت الأدلة الأثرية الحديثة جوانب جديدة ومعقدة لحضارة كرمة، مؤكدة على ثراء وتنوع العلاقات بين مصر وكرمة.

أحد الاكتشافات الرئيسية هو مدى التأثير المتبادل بين الحضارتين، حيث لم تكن كرمة مجرد متلقية للتأثيرات المصرية، بل كانت مشاركاً فعالاً في هذه العلاقة الديناميكية، يمكن رؤية ذلك في تبني وتعديل كرمة للعناصر المعمارية والفنية والدينية المصرية، مع الحفاظ على هويتها الثقافية الفريدة.

تؤكد الدراسة على أهمية إعادة النظر في الفرضيات السابقة واستمرار البحث والتنقيب لفهم أعمق وأكثر شمولية لتاريخ كرمة وعلاقتها بمصر، والدراسات التحليلية للعلاقات بين الحضارتين يسهم في تقديم صورة متكاملة عن تاريخ شمال شرق أفريقيا، ويبرز أهمية العلاقات في تشكيل الهوية الثقافية والسياسية للمجتمعات القديمة.

تسهم الدراسات المتعددة التخصصات والتي تجمع بين الأبحاث الأثرية، والتاريخية، والأنثروبولوجية، في ضمان فهم شامل ودقيق لحضارة كرمة وعلاقتها مع مصر، واستمرار البحث في هذا المجال سيظل مفتاحاً لفهم أعمق للتراث الإنساني ولتعزيز الحوار الثقافي والأكاديمي بين الحضارات المختلفة.

قائمة المراجع

المراجع العربية:

- أزهري مصطفى صادق وجمال جعفر عباس، "دور نظريات ومناهج آثاريه في تفسير المدافن في السودان القديم "، أدوماتو، العدد الثالث عشر، يناير ٢٠٠٦، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، المملكة العربية السعودية.
- رجب عبد اللطيف محمد، "الدور المصري في تغيير الثقافة الاجتماعية لسكان المجموعة (أ) ببلاد النوبة خلال الفترة من (٣٧٠٠-٢٨٠٠ ق.م. تقريبا"، مجلة كلية الأداب، جامعة بورسعيد، العدد ١٧، يناير ٢٠٢١.
- سعاد عثمان بابكر عثمان، ثقافة الموت مابين مدينة كرمة القديمة والمعاصرة، مجلة الدراسات الانسانية، كلية الأداب والدراسات الانسانية، جامعة دنقلا، السودان، عدد ٥، يناير ٢٠١١، ص ص ٦٩-٧٩.
- كريم عبدالله حافظ، "المعتقدات الدينية في النوبة خلال الفترة (٢٥٠٠- ٨٥٠ ق. م.) "، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، ع ١٣، مج١، يناير٢٠١٧، ص ص ٤٧١-٤٨٨.

المراجع الأجنبية:

- Barbara Mertz, and Lorna Raver, Temples, Tombs and Hieroglyphs: A Popular History of Ancient Egypt, 2nd ed., Harper Collins, 2007.
- Bard, Kathryn A. *An introduction to the archaeology of ancient Egypt*. John Wiley & Sons, 2015.
- Bonnet, Charles. "La deffufa occidentale et Le secteur religieux de Kerma." in Kerma: Territoire et Metropole Quatre Le 90 NS au College de France (Cairo: IFAO, 1986)
- D'Itria, Elena, and Gilda Ferrandino. "A digital Archive for the Amulets of Kerma Culture: A Preliminary Study". *Newsletter di* Archeologia CISA, Volume 10, 2019, p. 57.

- Der Manuelian, P., “Reisner, George Andrew” in Encyclopedia of the archaeology of ancient Egypt. Routledge, 2005, pp 805-806.
- Edwards, D. N., *The Nubian past: an archaeology of the Sudan*, London & New York, Routledge, 2004.
- Judd, Margaret, and Joel Irish. "Dying to serve: the mass burials at Kerma." Antiquity 83.321 (2009): 709-722.
- Lacovara, P., “Kerma” **in** *Encyclopedia of the archaeology of ancient Egypt*. Routledge, 2005, pp. 485-487.
- Leclant, J., “Kushites” **in** *Encyclopedia of the archaeology of ancient Egypt*. Routledge, 2005.
- Lobban, R. A., *Historical Dictionary of Ancient and Medieval Nubia*, USA, Scarecrow Press,2004.
- Reisner, George A. "Outline of the Ancient History of the Sudan; The Egyptian Occupation of Ethiopia During the Middle Empire (2000 To 1600 B.C), part II " *Sudan Notes and Records* 1.2 (1918): 57-79.
- Ross, Larry. "Nubia and Egypt 10000 BC to 400 AD." (2013).
- Shinnie, Peter Lewis. *Ancient Nubia*. Kegan Paul International, 1996.
- Smith, Stuart Tyson. Askut and the changing nature of Egyptian imperialism in the second millennium BC. University of California, Los Angeles, 1993.

الأشكال والصور

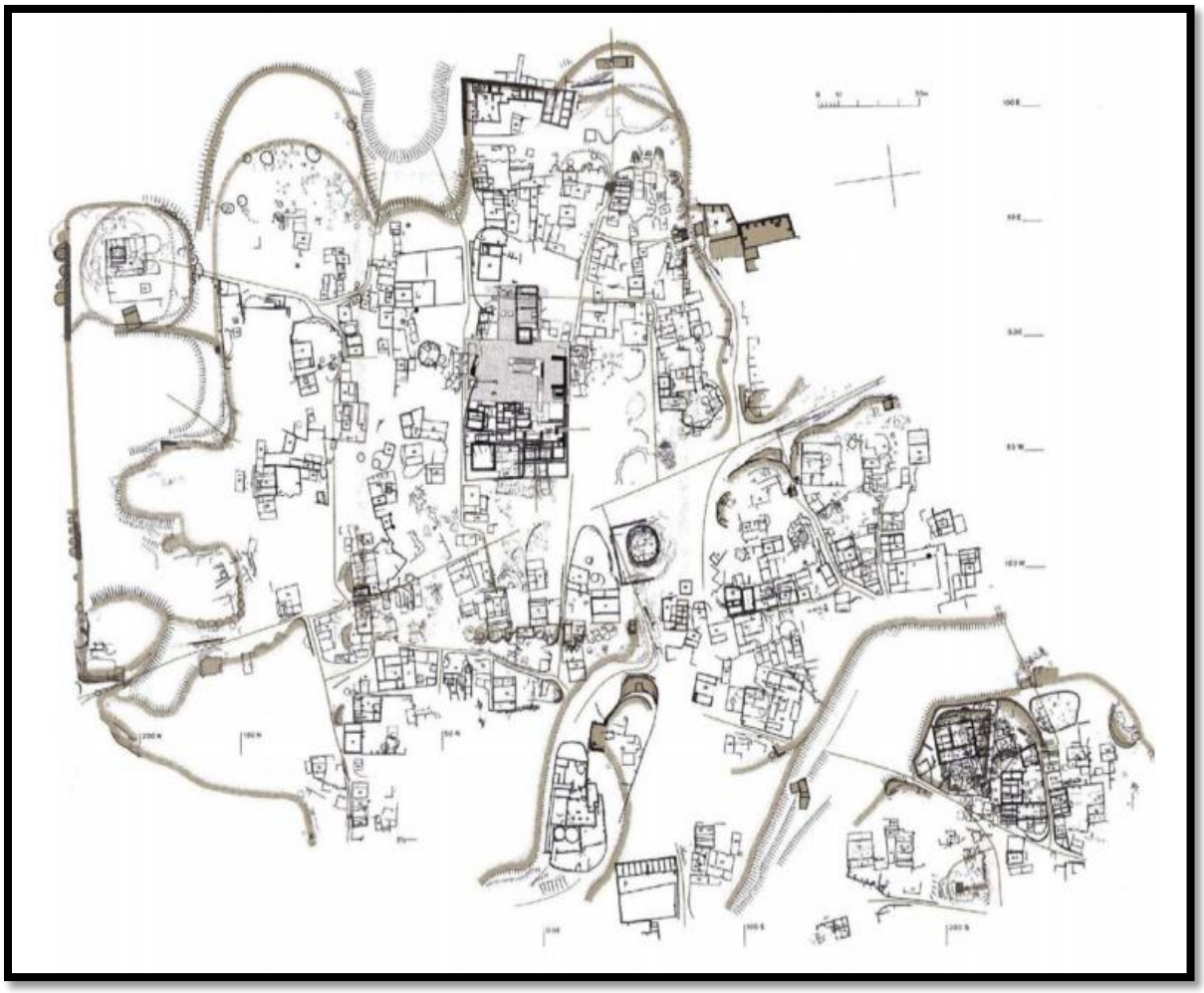

الشكل (1): مخطط آثار كرمة مع مؤشرات طرق الاتصال القديمة والتحصينات

نقلاً عن :

Dirminti, Enrico. "Between Kerma and Avaris: The first Kingdom of Kush and Egypt during the Second Intermediate Period." *Proceedings of the 12th ICNS. Leuven-Paris-Walpole, MA: British Museum Publications on Egypt and Sudan. Peeters*. 2014, p. 338.

صورة (1): الدفوفة الشرقية

نقلاً عن :

شاهندة عمر أحمد الباشا، حضارة كرمة : النشأة والتطور والامتداد الجغرافي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٩، ص ١٦٤.

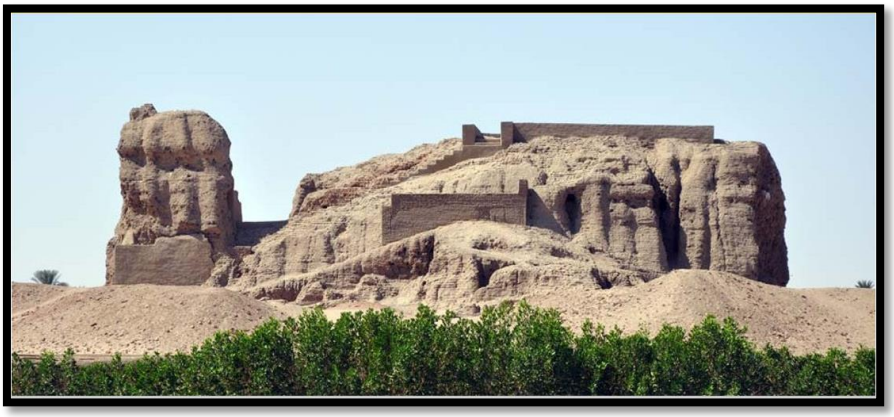

الصورة (٢): الدفوفة الغربية مع الجدار الجديد المبني في قمتها.

نقلاً عن :

Honegger, Matthieu, and Charles Bonnet. "Archaeological excavations at Kerma (Soudan): preliminary report to the 2009-2010 season." *Kerma* 1.Documents de la mission archéologique Suisse au Soudan (2010): 2.